شعر التجديد

ومذاهب النقد

النقد الأدبي ورجاله ـ المذهبان الأصيلان ـ حدود المذهب الفردي ـ تطبيق المذهب العام

(١)

النزاع بين الأدباء والناقدين قديم معروف ، لاتخلو منه آداب أمة من الأمم ، فالنقاد متطرفون غالباً ، والأدباء الذين أرهقهم جدهم في إخراج ثمرات عقولهم ونفوسهم وأعصابهم لايسرهم أن تتناول المعاول المتطرفة في غير إشفاق ؟ بل ويتملكهم الغضب إذا رأوا عيباً محصوراً ـ نسبياً ـ يتطاول على مؤلفاتهم فتنالها سخريته اللاذعة ! . . ولعل هذا هو الذي دعى شلي (Shelley) الشاعر الانجليزي المعروف إلى أن يقول :

« ماعدا أمثلة نادرة لا يمثل النقاد سوى سلالة غبية خبيثة ، وكما يتحول اللص المفلس في يأسه إلى خفير كذلك يتحول المؤلف العاجز إلى ناقد » ! . .
وهو رأي قاس ولكنه صادر عن نفس أمضها عنت الناقدين ، ولعل كلمة شلي هذه ـ على شدتها ـ أخف على النقاد وطأة من الكلمة الناعمة التي يصفهم بها الأديب الشهير كولردج (Coleridge) حيث يقول :

« النقاد هم عادة أناس كان ينتظر أن يكونوا شعراء ومؤرخين وكتاب سير لو استطاعوا وقد جربوا مواهبهم في هذا أو ذاك ففشلوا . ولذلك انقلبوا نقاداً ! » . . . وصراحة إنني أميل غالباً إلى الاتفاق مع هذين الرأيين وإن كنت لا أحب استعمال العبارات القاسية . فالغرض الأول من النقد هو

الاصلاح ، وذلك يقوم على شيئين : الهدم والبناء . . . لا الهدم فقط ، لأننا نهدم تمهيداً للبناء . فالأول عرض والثاني جوهر . وليس كل شيء قابلا للهدم لأن هذه العملية من أسهل الأمور ، فيجب أن تقوم أسباب وجيهة تدعو إلى ذلك أولا ، ويجب أن يعقب الهدم بناء أصلح من المهدوم أخيراً . . . ولا داعي لهدم لا يعقبه بناء مهما رث المهدوم . فشيء خير من لاشيء ! . .

وليس لنقد الأدب أو الشعر قواعد ولا موازين تميز الزائف من الصحيح ، ولكنها مسألة متروكة لذوق الناقد وملكته الأدبية وسعة اطلاعه ودقة ملاحظته ، ثم ان قرار الناقد لا يمكن أن يكون مع ذلك رأياً مقطوعاً بصحته ، فليس له أن يتحكم في اختيار الحدود التي يقيمها للأدب ، أو يتعنت في أحكامه على الأدباء ثم يطلب منهم أن يؤمنوا بها أو يحلوها محل الاعتبار ! . . ويجمل بنا أن نذكر هنا أن للنقد مذهبين أصليين هما : المذهب الفردي والمذهب العام ، ولا يقتصر المذهب الفردي على المذهب الشخصي فقط . فقد يكون مذهب جماعة من الناس ولكنه يفتقر على أي حال الى مبادىء المذهب العام ، ولعل من تحصيل الحاصل أن نقول إن الناقد المنصف هو الذي يفزع إلى المذهب العام فينقد الأثر الأدبي حيث هو ، متأثرا بالوسط والبيئة ، مراعيا الآراء والافكار التي تلابسه وتشغل أذهان معاصريه ، ثم يصدر حكماً يتناسب مع أثره في عصره وقيمته في البيئة التي خرج منها . أما المذهب الفردي فهو مجرد آراء مطلقة قد تكون متباينة ولكنها مع ذلك قليلة الجدوى !

أما أن يتقدم ناقد فيخترع لنا قوانينا للشعر والشعراء ويطبقها على الوجه الذي يختاره ولا يقبل في ذلك نقاشا ولا مراجعة ! فنحن لا نفعل معه أكثر من توجيه نظره الى اقوال شلي وكولودج التي ذكرناها آنفا . . .

وإما أن يرى الناقد أثراً أدبيا فيقبض شفتيه ويهز رأسه ويتمتم قائلا « هـذا لغوا . . . هـذه دردوة ! » فاذا طلب اليه أن يسجل آراءه حتى يمكن

مناقشتها والرد عليها أتاك بأساليب لولبية عجيبة لا يفهم منها شيئاً مستقلا ، أو يغيب على الأديب مفخرة من مفاخره ويعدها من المثالب ثم ينتظر تصفيق الاعجاب فهذا مالا طاقة لأحد — دع عنك الأديب نفسه — باحتماله ! . .

ومع ذلك فقد كان الشعراء — ولا يزال بعضهم إلى الآن — يتلطفون للنقاد فى الرد ، ويحاولون أن يفهموهم في هوادة وجهة نظرهم ، أو بالأخرى أنهم كانوا يقومون بوظيفة الناقدين لما يكتبه النقاد أنفسهم ؛ ولقد كان أحرى بهؤلاء أن ينتفعوا بهذه النماذج التى تخلصهم من أغلال المذهب الفردى وتسمو بهم إلى المذهب العام ، ولكن كبرياءهم أبت عليهم مثل هذا فتسعت دائرة الخلف بين الشعراء والنقاد وأصبح اكثر أولئك لا يعنى بما يكتبه هؤلاء . ومن ثم انحط عندنا فن النقد فقد انصرف عنه الأدباء وانصرف إليه المتسكعون !

وليس معنى هذا أننا ندعو إلى ترك المذهب الفردى فى النقد أو نبخسه قدره ، فله أثره ، ولكنا نقول إنه لا يكفى وحده ، ولكن حبذا لو أخذ الناقد بالمذهبين .

وسندرس معاً شعر شاعرين من كبار شعرائنا على الطريقتين : الفردية والعامة وقد نتخلص بعد ذلك إلى المقارنة بينهما فذلك يسهل بعد تلك الدراسة :

وسيكون الشاعران هذه المرة — وعلى سبيل المثال فقط — أبا شادى والعقاد ، وقد نعود لهما أو لغيرهما في فرصة أخرى .

(٢)

وليكن المذهب الفردى — مثلا — أول المذهبين اللذين ندرس عليهما أدب أبى شادى والعقاد . . . ولتكن دراستنا عملية منطقية وسنجتهد فى التحديد لتكون سهلة سائغة ؛ وقد يعجب بعض القراء مما سنتحرى تحديده من قواعد هذا المذهب . وربما ذهب إلى أنه لا يوجد من يتخذ من مثل هذه القواعد مقياساً

نقد الشعر ، ولكننا نطمئن هذا البعض ونقول إن ما سنذكره ليس من وضعنا ولكنها صادفتنا فيما قرأناه من نقد يوجهه دعاة المذهب الفردي إلى بعض الشعراء ! . . أما قواعد هذا المذهب فيمكن تلخيصها فيما يأتي :

(١) إن الشاعر لا يجب أن يتأثر بما كان ينشره الفلاسفة عن السعادة والفضيلة وغيرها

(٢) يجب أن لا يكون الشاعر ذا حرفة « تستنفد شطراً كبيراً من جهده وعنايته » لأن لذة العمل العلمي قد « يستنكرها البعض على شاعر » !

(٣) يجب أن يحوط الشاعر اذا عرض النظم للتصوف « ابهام المتصوفين المألوف » ولا يجوز أن يكون « واضح منهج التفكير » !

(٤) « الشعر والفلسفة والعلم مراتب متفاوته في إدراك الحياة وتصورها ، تختلف من حيث الابهام والوضوح ولكل منها حدودها » ولا يجوز مطلقاً أن يهضم الشعر شيئاً من العلم أو الفلسفة !

(٥) لا يجوز للشاعر أن « يتحرى التحديد في أفكاره ، وأحرى بأن تقرأ تلك الحدود الفنية التي يقيمها للشعر في كتاب نقد لا في ديوان شاعر » وأسلوب الشاعر وأفكاره ومعانيه يجب أن تكون بعيدة عن الترتيب المنطقي لأن المنطق علم وفلسفة والشعر لا يمكن أن يهضم علما ولا فلسفة !

(٦) يجب أن يتحرى الشاعر التأنق والتظرف في شعره ؛ لأن مهمة الشعر هي أن يبهج الحس ويرضي العاطفة وكفى ! . .

(٧) الفضيلة والشرف والعفة صفات لا يجب أن يعرفها الشاعر ولا أن يذكرها في شعره !

(٨) الحياة الطاهرة البريئة غير مستحبة من الشاعر الذي يجب أن يغذي شاعريته « بالاسترسال في دفعات الشباب الحارة » !

(٩) ليس الشعر وسيلة من وسائل الاصلاح الاجتماعي . وعلى الشاعر أن

يتورع عن نظم شعر التهذيب والشعر الانسانى ، والشعر الأخلاقى ، لأن ميدان الشعر ليس منبراً للوعظ والتهذيب

(١٠) « الحض على التفاؤل ومحاربة الشرور من أشرف الغايات التى يدعو إليها الانسان ولكن الشعراء يجب أن يكونوا آخر من يدعو لذلك » لأن الشياطين إذا ارتحلت عن هذا العالم وأصبح الخير حاكم الدنيا الأوحد لايجد الشعراء ما يقولونه إذ ذاك !

(١١) لاينبغى للشاعر أن يكتم أحزانه « ويأسر جراح قلبه » من غير أن يسمع الناس صراخه وعويله !

(١٢) لايجب أن « يتوخى الشاعر فى الأسلوب مايدعوه تمصيراً للغة إزاء من ذهبوا إلى إلباس اللغة ثوب الاستعراب والبداوة « ودعاة هذا المذهب يقولون ان « الأسلوب العربى القوى بليغ فى كل زمان ومكان » ! ..

(٣)

هذه هى المبادىء الاثنا عشر التى أقاموها حدوداً للمذهب الفردى فى النقد ، وهى فى اعتبارى هادمة لشعر التجديد والتسامى ، ونود الآن أن نطبقها معاً على أدب الشاعرين المختارين هذه المرة : أبى شادى والعقاد ، وقد يكون من المناسب أن نذكر قبل هـذا التطبيق أن واضعى قواعد هذا المذهب راعوا فيه أخلاق أمثال العقاد ومبادئه لأنهم يعجبون بأشباحها إلا أنك ستراه يخالف مع ذلك جوهر المبدأ . . . . ولنبدأ :

(١) لاينكر أبو شادى تأثره بما كان ينشره الفلاسفة القدماء عن السعادة والفضيلة وغيرهما ، أفلا يقول فى « السعادة — وفلسفة سقراط » :

لولا بحوثى وشكي لما عرفت (السعادة)
كأن سقراط أوحى إلى فؤادى فؤاده !

ثم أليس العقاد هو الذي يقول للسعادة :

وقد سألتك حتى ملت طول سؤالك

وترى أن أبا شادي كان يريد أولا أن يعرف كنه السعادة وعز عليه أن

يقضي عمره وهو يجهلها :

عمري تقضى بجهلي ففيم أبقى اعتداده

حتى عرفته بها فلسفة سقراط فتركته يقول :

أما السعادة عندي فلذة مستعاده

إلى أن يقول :

لكن ولوعاً بخير فالخير أصل السعادة

أما العقاد . فقد اشتهاها وألح في طلبها حتى مل الالحاح وعرف إذ ذاك

نه يجهلها :

وقد جهلتك لما سحرتني بجمالك

ثم تركها معتقداً أن :

أشقى الأنام أسير معلق بحبالك

ثم خيل إليه أنه يعرف معدنها فقال :

إن السعادة تحت الأرض معدنها لا يطلب السعد من آوته أجيال

ولكنه رجع أخيراً وهو يعتقد .

إن السعادة لن تراها في الحياة بمقلتين

ولا شك أن كليهما متأثر في هذا إلى حد ما بآراء الفلاسفة :

وعلى ذلك فمذهب النقد الفردي يسقط من حسابه هذين الشاعرين ولكنه

يوصي بالعقاد خيراً . لأنه مازال يتخبط لا يتركه جهله بالسعادة يهدأ على حال !.

(٢) « أبو شادي الشاعر يحترف الطب » هذا صحيح ، وقليل من يجهل

لانه اختص بجانب دراسته للطب بعلم البكتريولوجيا . واهتم أيضاً بدراسة عـ

لأبقاطوريا (تربية النحل) وله في ذلك رسائل علمية قيمة . . . فهو إذن غير فارغ للشعر . أما العقاد فقد يكون من الجائز أن تحسبه صحفياً ، ولكن الصحافة « لا تستنفد شطراً كبيراً من جهده وعنايته » فهو إذن فارغ للشعر أو على الأقل أكثر فراغاً له من أبي شادي وهو لذلك أشعر منه (!) ودع عنك انه — رغم هذا الفراغ — لم تتمخض شاعريته في السبع السنوات الأخيرة سوى عن جزء صغير من ديوانه لايحوي أكثر من قصيدته في رثاء المغفور له سعد زغلول باشا وبضعة أبيات مبعثرة ... ودع عنك أيضاً أن أبا شادي — رغم هذه الشواغل — أخرج في الست السنوات الأخيرة أكثر من عشرة مؤلفات تفيض شعراً ! . دع عنك كل هذا فدعاة المذهب الفردي يسقطون أبا شادي هذه المرة من زمرة شعرائهم لأنه كثير المشاغل و يثبتون العقاد لأنه أكثر فراغاً ! . :

(٣) لا يرى أبو شادي مبرراً للابهام في شعره التصوفي ولا في سائر شعره وهو يرى أن الخيال العالي البعيد أجمل من الابهام ، وانظر إلى قوله :

مرت ملايينها لمحاً كثانية وخلفت حيرة كبرى لمن فهموا
ماالخلق؟ ما هذه الدنيا ومنشؤها ماالفكر؟ماالجوهر الباقي؟وماالعدم؟
مسائل هي للأحقاب باقية كما سيبقى الردى والشك والألم
أجال فرض لها وهم ، وأيسره وهم ، وقد يستوي الدهاء والعلم !

ألا ترى أنه محلق في قوله ، وأن الوقت قد حان لترك « ابهام المتصوفين المألوف » !

أما العقاد فلا نعرف له شعراً في التصوف أو مايقاربه ، ولكننا نعرف له قصيدة في معنى عكسي هي (ترجمة شيطان) التي يقول فيها عن الخالق :

قال كوني محنة للأبرياء فأطاعت ، يالها من فاجره !
ولو استطاعت خلافاً للقضاء لاستحقت منه لعن الآخره

وأنت ترى أنه لايحوطه فيها ذلك الابهام أيضاً ، وعلى ذلك فدعاة المذهب

الفردى يسقطون أبا شادى من حساب شعرائهم فى هذه النقطة : ويلحقون به العقاد ، وإن أخذهم على هذا الاخير عطف ! . .

(٤) يرى أبو شادى أن لامستقبل للشعر إن لم يهضم العلم وليس معنى هذا أنه يدعوا إلى نظم النظريات العلمية ولا أن يتضمن الشعر الحقائق العلمية البسيطة عارية ، فمثل هذا الظن لايدل إلا على سخف صاحبه !. . ولكنه يود لو هضم الشعر فكرة علمية سامية أو معنى علمياً طريفاً . . . يقول أبو شادى فى قصيدة مطلعها :

رحماك! كيف أرقت قدسى الدم؟! روحى أرقت به وإن لم تعلمى!

يصف نقطة دم « شفاعة على كتاب حب » :

يانقطة القلب الحبيب بما وعت أهلا بمقدمك الحبيب المكرم !

حملت آلاف الكرات جميلة فكأنها قبل سترن لمغنم

وكأن عينى مجهر نظرت بها ماغاب عن نظر الخلى أو العمى

فهل خسر الشعر شيئاً من صحبته للعلم فى هذه الأبيات الرقيقة الطريفة ؟!. . أما آن لنا أن نتخلص من هذه القيود التقليدية التى تأبى صداقة العلم والأدب والفلسفة !

ولماذا نحرم على شاعر أن يقول للشمس :

ياحياة الكون مهما حجبت عنه نصف العمر وحياً ماغبن

يشير فى ظرف وبراعة إلى تقسيم الاشعاع بين نصفى الكرة الأرضية أو يقول لها :

أنت أصل الأرض والبدر الذى يعشق الأرض إذا البدر فتن

ونظل الدهر نهوى خشماً حسنك الباقى على مر الزمن

أو يقول فى قصيدة (الجامعة المصرية) يتخيل مستقبل العلم وفتح القمر :

إن (السيرمان) — الذى حلمت به أحلامنا — المستبسل المغوار

الدارس الدنيا دراسة مبدع لا الأرض تكفيه ولا الأقمار
ولربما ركب الأثير موفقاً وتذللت لعتوه الأخطار
فيطير (للقمر) المرحب مثلما طارت الى أوكارها الاطيار
هو بضعة (للارض) ليس يفوتها وكأنما هـذا (الأثير) بحـار
وجميعها يوما ستصبح مركبا سهـلا وتهتك حولها الاستار
ولربما وجـد الميـاه به، وان عـدمت تغلب عليه الجبـار :

وهي قصيدة بديعة نجتزىء منها بهذا ولو اتسع المقام لما تركنا منها بيتا . . . فهل من النصفة أن نحرم شعر التجديد هذه المعانى العصرية الخالدة ! . .

أما العقاد فشعره لا يهضم شيئاً من العلم لان ظروفه لم تهيء له دراسة علمية صحيحة ، وليس في هذا أنه لا يوافق على هضم الشعر العلم فانه يحاول ان يكون في بعض قصائده منطيقاً ، والمنطق علم فلسفي وهو وان كان قليل التوفيق في منطقه فانه من أنصار هذه الفكرة . . . وعليه فدعاة المذهب الفردى يسقطون من حساب شعرائهم أبا شادى ولكنهم قد يترددون في اسقاط العقاد هذه المرة ! . . .

(٥) حقيقة أن ابا شادى يتحرى التجديد اللفظى في مواقف ، اما التجديد المعنوى فان الخيال فى الاستعارة والمجاز يتركان فى المعنى مجالا لتفكير المفكر ، أنظر الى قوله :

أقصى الظنون وجودى أصله العدم ومن عجيب وجودى ليس ينعدم

فقد يكون ظاهر هذا البيت التجديد ولكن الواقع ان فيه للتأمل مجالا غير محدود

أما العقاد فهو وان كان يتحرى التجديد اللفظى الا انه أشبه بتجديد معنوى أيضا ، انظر الى قوله .

أنت يارب لطيف فى القضاء فصعق اللهم من يجحد فضلك
قسما باسمك يارب السماء ما أرى فى الناس من يدرك وصفك

فهل ترى فى هذين البيتين ما يبعث فى نفسك روح التفكير أو حتى ما يساعد عليها ؟ ! . . . إن التحديد هنا لفظى ومعنوى فلا تخرج معانيهما عن هيكل ألفاظهما قيد أنملة . وإذن فجماعة المذهب الفردى يسقطون العقاد من حسابهم هذه المرة وهم راغمون كارهون ، وأنا واثق انهم سيسقطون من حسابهم معه أبا شادى فلنتركهم يفعلون ذلك ففيه له مفخره !

(٦) الشعر فى رأى أبى شادى « هو تعبير الحنان بين الحواس والطبيعة هو لغة الجاذبية وإن تنوع بيانها ، هو أو حدى الاصل فى المنشأ والغاية وصفا وغزلا ومداعبة ورثاء ووعظا وقصصاً وتمثيلا وفلسفة وتصويرا ، فان مبعثه التفاعل بين الحواس ومؤثرات الطبيعة ، وغايته العزاء والاحتماء بهذه الطبيعة ، وان تضمن أحيانا الغضب والسخط ، وما هو الا غضب الاطفال الصغار » وهو لهذا يمقت التأنق والتظرف والتصنع المبتذل . . .

أما العقاد فهو وإن كان لا يفتأ يعلن سخطه على هذا التصنع والتظرف الا ان الواقع يثبت انه انما يتأثر بعض القدماء في ديباجاتهم المتأنقة ! وإذن فالمذهب الفردى يسقط من حسابه أبا شادى ولكنه يستمسك بالعقاد

(٧) يعتقد ابو شادى انه .

ليس يكفى الشعر فنا تلاه فهو روح النبوة المتعالى
كل شعر سواه لحن ضئيل وشعاع يموت طى الليالى

فالشعر أثمن من أن يصرف فى تزاويق لفظية أو معنوية لا طائل تحتها ! . . وهو لذلك لا يرى ما يمنعه من معالجة الموضوعات المهمة كالعفة والتعاون والفضيلة ، وهو الذى يقول لهذه الأخيرة .

للاماني والهوى والغواني كم دهاني الاسى لفرط اكتئابك
ودعى هذه النفوس ورفقا بمنى عذابه من عذابك !

وهو القائل عن الرذيلة أيضا :

ومن خاض الرذيلة فى دروس تنزه عن عواقبها عليلا
ولكن المجانب خوف ضعف يزل ويقتدى بعد الدليلا

أما العقاد فقد يوافق دعاة المذهب الفردى على أن الفضيلة والعفة والتعاون. وما اليها صفات لا يجب ان يعرفها الشاعر، وهو يحسب نفسه « بالطبع ! » من فحول الشعراء ! . .

(٨) « يعيش أبو شادى عيشة بريئة طاهرة لم يشبها استهتار باللذة ، ولا استرسال فى دفعات الشباب الخارة » هكذا يقرر دعاة المذهب الفردى ويزيدون. أن هذه الحياة لاتنتج الشاعر الذى يجب أن يعزى شاعريته « بالاسترسال فى دفعات الشباب الخارة » ولا أخال أبا شادى نفسه الا ملتمسا من هؤلاء الدعاة فى رفق ان يصدروا أمرهم الكريم باسقاطه من حساب شعرائهم هذه المرة أيضا !...

أما العقاد فنحن لا نعرف شيئاً عن حياته ولكنا نظنه ان يسقط من حساب شعرائهم هذه المرة فلنتركه . . .

(٩) « أسمى ما بلغه الشاعر أخيرا من غرض انما هو درس الحياة وتحليلها وإذاعة خيرها ومكافحة شرها ، وهو غرض نبيل جامع وإن تكيف بصور شتى ».

وأبو شادى إذن لا يرى بأسا من اتخاذ الشعر وسيلة من وسائل الاصلاح الاجتماعى ولا يتحرج فى نظمه شعر التهذيب والشعر الانسانى .. أوليس هو القائل..

إن « الحياة » تضافر وتعاون سيان بين غنيها والمعدم
حتى الجماد فقد يؤازر بعضه بعضاً ، فكيف بمن لروح ينتمى ؟

ألا ترى ان فكرة التعاون التى تبثها مثل هذه الأبيات لا ترضى إخواننا دعاة المذهب الفردى الذين يريدون أن يجعلوا من ميدان الادب مضمار الصراع والملاكمة؟!

ثم هل ترى فى ديوان العقاد جميعه بيتا يحمل هذا المعنى أو حتى معنى يماثله؟؟

إذن فلا تلم أبا شادى ان انسحب — هو — باطف من شعراء هذه الزمرة وترك العقاد ينعم بزعامتها ! . .

(١٠) لا يمكن لشاعر مجد مخلص لنفسه ولفنه أن يعيش فى الحياة بلا مثل أعلى ، ولو وقع المستحيل ، وارتحلت الابالسة عن العالم . وأصبح الحق حاكم الدنيا الاوحد فهل تظن أن مطامح الانسانية تقف ! . . انها تتحرر اذ ذاك من الغرائز السافلة وتنصرف عن الحيوانية الى التكميل والتحسين المستمر ، واذن فلا يمكن لابى شادى ان يترك الحض على التفاؤل ومحاربة الشرور وقد اعترف دعاة هذا المذهب أنفسهم انها « من أشرف الغايات التى يدعو اليها الانسان » . ولعمرى لماذا يفرضون ارتحال الشياطين عن العالم وحكم الدنيا بالحق وحده ليمنعوا شعراء الاصلاح من مناجاة مثلهم العليا التهذيبية . لانهم لن يجدوا مجالا لنظمهم اذ ذاك ، ولا يمنعون شاعرا فاسقاً معربدا من الاسترسال لانه هو الذى لن يجد هناك المجال لعربدته ! . .

ونحن لا نعرف رأى العقاد فى التفاؤل ولكننا نلمس تشاؤمه في مناسبات كثيرة فليسقط دعاة المذهب الفردى أبا شادى من حساب شعرائهم وليهنؤا بالعقاد!

(١١) ابو شادى رجل يعرف ان الحياة طافحة بالمآسى ، ويدرى ان لكل امرىء فيها مكمنا يبعث الشجن فى نفسه — ولقد عاكسته الظروف وعاندته ولكنه يفضل ان يكتم أحزانه ، وان فاضت أحيانا على الرغم منه

وأما العقاد فكلنا يعرف انه رجل رفعته الظروف الحسنة إلى مستوى الادباء والشعراء ، ولكنه مع ذلك لا يترك فرصة تمر دون أن يملأ الارض بصراخه وعويله!

(١٢) لفتى الذى بوحيه ذوقى والذى   لبى به الأدب الحديث ندائى
وأرى فمى وحجاى ثم يراعتى   ملكا لموطن الشرق شقائى

هكذا يقول أبو شادى رداً على الذين يعيبون عليه أسلوبه الحر المتدفق وإليك برهانه :

« الشاعر رسول قومه ، فيجب عليه حتماً أن يكون بيانه بيانهم ، والا كان غريباً عنهم ، وهذا يعنى اجتناب التقعر وغريب التعابير التى لا توافق ثقافة

العصرية ، ولا تناسب أمزجتنا المصرية » وهو لذلك يدعو إلى استعمال « الفصحى السلسة وتطعيمها بالمختار المصقول من مفرداتنا وتعابيرنا القومية » وفي هـذا رد مقنع للذين يتوهمون أن « الأسلوب العربي القوى بليغ في كل زمان ومـكان » متناسين الوسط والبيئة وفعل الزمن !

ولعمرى إن « ضعف الأسلوب » الذى يحاول البعض إلصاقه بأبى شادى لأهون عندى من صفة يخلعها القارىء على العقاد عند مايقرأ قوله .

يلملم حـدباء القدامى كأنها أضالع فى أرماسـها تتهشم

أو قوله :

جناحين لو طار النصت فدومت شمارخ رضوى واستقل يلملم

فما حدباء القدامى ! وما الاضالع التى تتهشم من ارماسها ! وما الشمارخ ! أما رضوى ! وما يلملم ، وما الذى تركه العقاد أخيراً لامرىء القيس وزهير واضرابهما ؟ ! . .

* * *

وترى أن أبا شادى كان يسقط دائماً من حساب دعاة هـذا المذهب ؛ مذهب الفردية فى النقد . . وأن العقاد قد رجحت كفته فى هـذا الميدان ، بل أن أبا شادى نفسه كان يفضل الانسحاب أحياناً ! . .

وخيراً فعل أبو شادى ؛ فيترك هـذا الميدان للعقاد . . . ولـكن أى ميدان هو . . . ميدان من يريدون من الشاعر أن يكون « صائعاً » أى عاطلا متشرداً لايشغله منصب ذو مسؤولية ! . . مبهما غير واضح منهج التفـكير ! . . مشوش الفـكرة بعيداً عن الترتيب المنطقى المعقول ! . . متظرفاً متـكلفاً متبهرجاً ! . . لايعرف فضيلة أو عفة أو شرفاً ! . . ولا يدعو لتعاون او لاخاء ! . . متورعاً عن نظم شعر التهذيب والشعر الانسانى والأخلاق ! . . كل همه أن يبهج الحس و يرضى العاطفة ، أو بالحرى الحيوانية والشهوة ! . . أى باختصار يكون كبائع « العرقسوس » يلجأ إليه من يطالب مبرداً فقط ! . . يكون آخر من

يدعو إلى التفاؤل أو يحارب الشرور ! . . دائم الصراخ والعويل، لا يكتم عن الناس أشجانه ! . . ثم يجرى أخيراً خلف ذؤبان العرب المتحذلقين فى اللغة والأسلوب ! . . فهل يعرف القارىء شاعراً يجمع هذه الصفات المضحكة ! . .

لقد فاز العقاد على أبى شادى فى مقارنة عرجاء فى حدود المذهب الفردى ، ولكنا لن نترك القارىء قبل أن نشاهدهما معاً فى مقارنة شريفة فى حدود المذهب العام.

— ٤ —

قد لا تتوافر أسباب المقارنة بين أبى شادى والعقاد فكلاهما يمثل مذهباً خاصاً فى شعر التجديد ، ولكننا سنحاول أن نطبق أحكام المذهب النقدى العام. فنقارن بين الموضوعات المشتركة وفى هذا غنم للعقاد كبير . فأغراض شعره قليلة محدودة في حين ينظم أبو شادى فى شتى الأغراض بكثرة بل باسراف !!

نظم الشاعران فى الموسيقى فانظر كيف استهل العقاد :

معلمة الانسان ما ليس يعلم وقائلة ما لا يبوح به الفم

وتأمل هذا التعريف السطحى الساذج ، ثم انظر الى استهلال أبى شادى.

غنائك مسحور وحياك ساحر وأولع بالشعر الذى فيك شاعر

ثم عد بنا الى العقاد الذى يستتبع :

وكامنة بين النفوس بداهة وما علمت فى مهدها ما التكلم

وعرج بنا على أبى شادى :

وناجاك باسم (الفن) كل معبر عن الفن حيث الفن حولك دائر !

أترانا فى حاجة الى مقارنة ! واصدقنى بربك هل هناك وجه لهذه المقارنة بين أبى شادى الذى يقول :

وملؤك إعجاز وآيات قوة من الوعظ لم تبلغ مداها المنابر

وبين العقاد القائل :

تهزين أعطاف البخيل فيكرم ويصغى إليك المشمخر فيرحم (!)

لو لم يكن لأبى شادى الا البيت القائل :

وطهرت أنغامك (الروح) فاعتدت جمالا رقيقا كل ما فيه طاهر !

لو ازن قصيدة العقاد كلها ورجح عليها ! . .

ونكرر : هل تجوز المقارنة بين العقاد الذى يقول فى « المزمار » !

نفثات المزمار تـذكى أوارا رابنى طـول برده وسكونه

وبين أبى شادى الذى يقول فى « الارغن »

تئن كالاسد المجروح مازجه حب ، فكان يناجى القلب غصانا

نصغى اليك بروح كله شغف بمـا تلقنه وعـظا وايمـانا

كأنمـا هـو تنزيل يوزعـه عدت الاله على الوافين إحسانا !

* * *

لا . . لن نحاول أن نحلل أو نقارن ، ولـكننا سنعرض عليك أبيات الشاعرين في المواضيع المشتركة ، ولا نحسب المقارنة تفتقر بعد ذلك لا يضاح . .

* * *

يقول العقاد فى (مصور) . .

وممثلين على الطروس وربمـا وجـد المثال وربه لا يوجد

ومنها :

فكأنما تلك الطروس وذيلة فيها يطل على الوجود الملحد

ومنها :

صور باخلاد الزمان ترددت كالميت فى ذكرى ذويه يردد (!)

ويقول ابو شادى فى (مصور) أيضا :

أنظر تجد عجب الحياة خيالا فى لوحة جعلت رجاءك حالا !

ومنها .

من منظر تجد الطبيعة عنده سكرى تعز بحسنها يتعالى !

ومنها (وهو من أبرع الأبيات التصويرية التى رآها الشعر العربى) :

ولربما حاذرت بأس أشعة كادت تخيفك قوة وكلالا !

***

وبعد ، فقد نظم الشاعران فى (الربيع) و (البخيل) و (الحب الأول) و (الخريف) وغيرها فارجع إليها فى مؤلفاتهما ، ثم أصدر حكمك في هذه المقارنة التى سنترك لك الحكم فيها ؛ ولكننا نتقدم إليك راجين أن تبقيه لنفسك لأن فيه ماقد يغضب العقاد وأشياعه فيتطاولون عليك بما لاتحب لنفسك ! ..

ولنترك العقاد يملأ الأرض بأنه شاعر الدنيا والآخرة بديوانه العتيق وأغراض شعره المحصورة ! . .

أما أبو شادى ، الذى أخرج أكثر من عشرة مؤلفات شعرية فياضة ، والذى علم العقاد وأمثاله النظم فى الشعر الانسانى والتهذيبى والقومى والوجدانى والليريكي . . فحسبه أن يتقدم إلى القارىء قائلا فى تواضع وحياء :

مازلت معترفاً بجهلى دائباً فى دفع أخطائى ورفع يقينى

***

ويجب أن يعرف القارىء أخيراً أننا لم نتعمد اختيار أبا شادى والعقاد ، وأن فى إمكانه الاستعاضة عنهما بشاعرين آخرين من شعراء التجديد يمثلان مذهبين مختلفين فى الشعر مثلهما ، ثم يدرسهما على نفس الطريقة وهو سيخرج بلا شك بنفس النتيجة ؟

على محمد البحراوى